OVERWATCH®

فالكيري

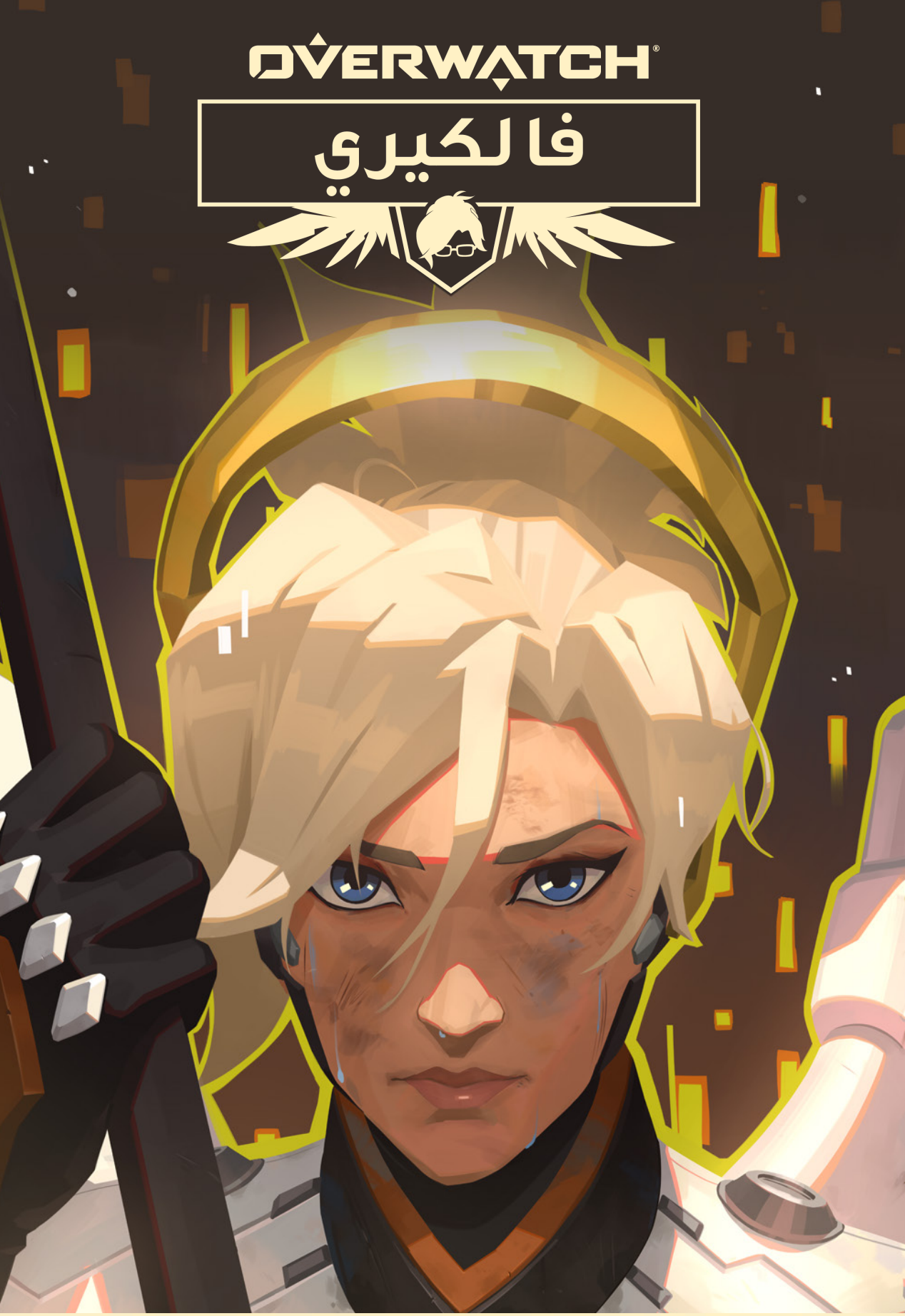

قصة قصيرة بقلم مايكل تشو

فالكيري

قصة
مايكل تشو

رسومات
ناسكين

الفكرة الأساسية لزي الدكتورة زيجلر (ميرسي)
أرنولد تسانغ

تصميم زي الدكتورة زيجلر (ميرسي)
هونج تشانج ليم

التصميم الأصلي لشخصية ميرسي
هاي فان

التصميم والتخطيط
بينجامين إسكانلين

الترجمة
عبدالله مهدي وآية نبيه ومحمد حلمي ونزيه فارس

فالكيري

ليتني تذكرتُ آخر كلمات أمي قبل أن تصحب أبي خارجًا في ذلك الصباح منذ سنوات ماضية. كان الجو باردًا ورماديًا وكان الضباب الخانق يكتنف كل شيء حتى ذكرياتي. كانت تلك المرة الأخيرة التي ترى فيها عيناي والديَّ على قيد الحياة. فقد كانا متطوعَين للعمل في مستشفى محلي إذ كان الجميع يحاول مجابهة عواقب الهجمات الطاحنة على سويسرا إثر اجتياح قوات الأومنك بلدان أوروبا خلال الأزمة. وهنالك راح أبواي ضحية قصف جوي. تأبى العقول أن تُصدِّق اختفاء أحبائنا من وجه الحياة، فنادرًا ما تُسعفنا كلمات الوداع عندما يحين أوانه. وفي الأيام التالية، آزرني الناس بأن الوقت كفيل بتضميد الجراح، لكن حتى اليوم، تعاودني الآلام من مستصغر الذكريات.

في آونة كهذه، كنت أعمل في مخيم المساعدات الواقع عند أطراف القاهرة. وكل يومٍ تبدو المشكلات التي نواجهها عصية على الحلِّ. فقد كنت أعيش في مصر معظم الوقت خلال السنتين الماضيتين، لكنها كانت مجرد واحدة من الأماكن التي سكنتها منذ انتهاء عملي رئيسة لفريق الأبحاث الطبية في أوفرواتش. وكان تلطخ سمعتي المهنية هو ما أردت تغييره حينها. شددت الرحال إلى بولندا وكوريا الجنوبية وفنزويلا حيث لا يعرفني الناس إلا باسم الدكتورة أنجيلا زيجلر وليس ميرسي. فالمشاريع التي وهبتها نحو عقد من حياتي قد بيعت أو أهملت أو كُلِّف بها غيري. أما أصدقائي القلائل في أوفرواتش فقد تشتتوا.

أعلم أن لينا واظبت على المساعدة حسبما استطاعت رغم كل شيء حدث ورغم المخاطر. أما راينهارت فهو يجول بلدان أوروبا حاملًا معه بريجيت المسكينة، بينما تتوارى سوجورن عن الأعين في كندا. وبطبيعة الحال، قينجي مشغول دائمًا. فآخر مرة سمعت منه، كان منطلقًا إلى وطنه للعثور على أخيه. وربما الأكثر حصافة منا جميعًا هو توربيورن بعودته إلى أحضان غوتنبرغ وإنجريد إثر تقاعده. لكن في كل مكان قصدته، أحسست بأصداء أوفرواتش تتردد من حولي، وكذا شعوري بالذنب من مشكلات كنا قد تركناها وراء ظهورنا عندما استشرت الفرقة فينا جميعًا. هذا ما قادني إلى مصر التي تتحمل

أوفرواتش مسؤولية قدر كبير من معاناتها، وأردت المساهمة في تخفيف تلك المعاناة. لكن لم تُمدُّ إليَّ أيادي الترحيب الحار من أهلها، بل قالوا لي: "ارجعِي من حيث أتيت"، و "لقد أحدثتِ ما يكفي من الدمار."

الحقيقة هي أن الناس لا تزال ترتقب قدومنا للمساعدة في وقت العُسرِ حتى مع تطاولهم علينا.

وأنا لم أصبح طبيبة كي يشكرني الناس.

يبدو مظهر جاك موريسون حسنًا لرجل فارق الحياة، فلم يُلطِّف الموت من مظهر فكِّه المربع ولا غلَّظ من براءة وجهه الصريحة والتي تُضفي عليه مظهر رجل في لوحة لنورمان روكويل وقد بُعث للحياة، حتى في وجود الندبات التي قسمت معالم وجهه. أحسست أن أكبر ندباته كانت في رأسه بالرغم من الجُرح المتقيح الحديث في ظهره. وكانت جراحه الأخيرة هي ما أتت به إلى شقتي المفروشة على نحو ما والمطلة على سوق خان الخليلي. وقد آثر موريسون السكوت عندما سألته عن تفاصيل ما جرى. فلطالما كان نموذجًا للمريض صعب المراس.

أتى صوت من المطبخ: "العناد وحده هو طريقه إلى الهلاك."

كان هذا صوت آنا عماري وهي تفتش خزانات المطبخ باحثة عن الشاي وكأنها في منزلها. ويبدو من ذلك أن موريسون لم يكن وحده في رحلات الاستشفاء الخارقة، فكلنا كنا نظن أن آنا لقت مصرعها بطلقة قناصٍ في بولندا، ولكن ها هي. بدت أكبر في العمر وأنحف، تغشاها حالة من الإعياء البسيط، الأمر الذي أثار حدسي لأول مرة منذ أن عرفتها بأنها على شفا الهلاك. كانت ما تزال تتمتع بوقفة ضباط الجيش الشامخة، وقد لُطِّفت قسوتها كاشفة عن رقة جديدة لم أعهدها عليها قَط.

قلت وأنا أرش المخدر على ظهر جاك: "بوسعي إجراء بعض الفحوصات، لكن تنقصني المعدات اللازمة، فنحن في مخيم مساعدات ولسنا في معمل جينات."

ردَّ عليَّ بنبرة جافة: "ليس لدينا الكثير من الوقت. أجري بعض الإسعافات الأولية، وأنا سأتدبر الأمر."

قلت: "سأرى ما يُمكنني تدبيره لك." جال تفكيري في القنابل الحيوية الثلاثة التي يحملها وفي القذائف الخرطوشية المدسوسة في حزام الرصاص الذي ترتديه آنا. كانت هذه أغراض مسروقة من أوفرواتش، أو تطويع لتقنياتي دون إذن مني فيما يخص القذائف. وكان هذا مثالًا آخر على طبيعة سريان وقتي في أوفرواتش بما لا يوافق رغباتي. ذُهلت لانزعاجي من هذا الأمر، فكان من الأولى أن أسعد بوجود آنا وجاك على قيد الحياة. لكنهما كانا دلالة مادية بحتة لشيء كنت أحاول الهرب منه، وكنت أحس أن الجدران تتعالى بيني وبين ما قد أتيا به.

نبشت صناديق الإمدادات التي تفرش معظم غرفة معيشتي لأجد أغلب محتوياتها من لفائف الضمادات وزجاجات المضاد الحيوي المقفولة ومعدات طبية متنوعة. لن تجديَ هذه الأشياء نفعًا مع إصابة موريسون الحالية. كان حضور أوفرواتش طاغيًا، فحتى الآن، بعد سنوات من حلّ أوصالها، ما زال يُسمع صداها في كل مكان، من بنية مصر التحتية المتهالكة إلى الألفة النمطية لعلبة ضمادات ذات اللون الأزرق الفاتح. ولو كان لي أن أقولها صريحة، فالهرب من أوفرواتش كان في أفضل الأحوال... هدفًا تفاؤليًا.

قال جاك وهو يلتقط أغراضًا من صناديق الإمدادات مكونًا منها كومة صغيرة بجواره: "ماذا تفعلين هنا يا أنجيلا؟"

رددت سهم سؤاله قائلة: "أبحث عن بعض الإسعافات الأولية كما طلبت."

قال وهو يتفحص ماسحًا ضوئيًا طبيًا باهظ الثمن بيديه وعلى وجهه علامات الاستفهام: "لم أقصد هذا، ماذا تفعلين هنا في القاهرة؟"

عاجلته قائلة: "هذا حساس جدًا"، ثم رمقته بنظرة جاحظة منتزعة منه الماسح الضوئي وملقية

به في الصندوق ليصدر صوت ارتطام خافت أصابني بالفزع. ثم تنهدت تنهيدة لم أصدق أنني كنت أحبسها، وقلت: "بعض الناس هنا يحتاجون المساعدة."

ماذا أفعل هنا؟ قلت لنفسي بأنني هنا لمدِّ يد المساعدة، وأن ثمة أشخاص هنا في حاجة إلى مساعدتي، فمصر تغمرها مشكلات عديدة في وجود عدد ضئيل ممن يستعدون إلى تقديم المساعدة وتربص زمرة من الجوارح التي تتغذى على أطراف المجتمع بها. ولم تكن وظيفتي تلك بالرونق أو الإثارة التي كانت عليها وظائفي السابقة، بل كانت مجدية للنفع وغير مثيرة للجدل.

قالت آنا وقد وجدت على ما يبدو بعض أوراق الشاي التي لاقت استحسانها: "العمل في مستشفى أو معمل في إحدى الجامعات سيناسبكِ أكثر بالطبع."

فقلت بحدة: "أن تكوني، كما جرت المقادير، موظفة مرموقة سابقة في أوفرواتش ليست خبرة يود الناس رؤيتها في سيرتك الذاتية." أخذت نفسًا عميقًا، وكأنما السنوات لم تمر قط، ونحن في خضم الجدالات المحتدمة التي دارت في آخر مرة اجتمعنا فيها معًا. وتابعت: "أن أبقى متخفية خير لي من الإيقاع بكما."

تجهَّم جاك قائلًا: "يعرف أعدائي على الأقل أنني قادم إليهم."

سألته في ريبة: "أعداؤك؟ أتقصد حكومة الولايات المتحدة وأكبر بنوك ألمانيا وشركة الحراسات الأمنية هيلكس سيكيورتي. هل نسيت أحدًا؟"

قال بنبرة الواثق الفخور بنفسه: "شركة لامريكو."

فقلت: "أكبر شركات الطاقة المكسيكية، والتي يُديرها للصدفة الرئيس السابق ذو الشعبية الجارفة وزعيم الحرب المحبوب عالميًا"، ثم تنهدت، "هؤلاء الأعداء لن يفعلوا الكثير بحق سمعتك."

ردَّ موريسون بكلمات جافة: "الأضرار الجانبية هي جزء لا مناص منه في الحرب."

قلت: "لطالما كنت بارعًا في منطَقة الأمور." فكنت أعرف أن مرونة التفكير في منصبه السابق كانت لازمة للنجاة، لكن بدا أن هذه السمة نجت معه أيضًا في حياته الجديدة.

ردَّ باندفاع تملَّك نبرات صوته فيما يُشبه الهوس: "اقتربت من العثور على المسؤول. اقتربت من معرفة الحقيقة."

قلت بشكل قاطع: "الحقيقة."

فردًّ: "حقيقة ما حدث لأوفرواتش، وما حدث لتالون وسويسرا، وكل شيء. وهذه مهمتي الجديدة."

"لا تبدو مهمة جديدة، باستثناء الأقنعة."

قال جاك منفعلًا: "ماذا تريدين مني أن أفعل؟ أسافر إلى جبل طارق وأنضم إلى وينستون؟ أترين أن الأشخاص الذين أسقطوا أوفرواتش لن يُطيحوا به أيضًا؟"

أدرك وينستون استفحال المشكلات في العالم، ورأى أن الحل في أوفرواتش. لا أظن أن وينستون تساءل البتة عن أسباب فشلها. فقد أحبها ورغب كثيرًا في أن ترى كيف دمرتنا وغيرتنا جميعًا. ووجودي في هذه الحجرة مع آنا وجاك لم يُرسخ في وجداني إلا أننا جميعًا لا نزال منكسرين، وممارستنا للشيء نفسه الذي كُنا نمارسه في الماضي لن يدفع بنا إلا لمأساة أخرى. والعالم في غنى عن ذلك. قلب وينستون كان في المكان المناسب، لكن ذلك لا يعني أنه كان على حق.

قال جاك باستخفاف: "فليلعب وينستون دور البطل، أما أنا سأفعل ما يتحتم فعله. سأتعامل مع رييس وأوجندمو وماكسميليان وفيالي وسومبرا وأوديورين والبقية منهم."

رييس. لفظ اسمه كفيل بأن تقشعر له الأبدان. ظننت أنني دفنت ثلاثتهم، موريسون وآنا ورييس، لكن أشباحهم ظلَّت على قيد الحياة.

"كلنا مسؤولون عما حدث يا جاك. فقد ذهبت أوفرواتش أدراج الرياح. ولن يُغيِّر انتقامك الشخصي أي شيء."

سأنال العدالة، شخص ما يجب أن يأخذ الثأر."

قلت بسخرية: "العدالة." وكنت أرى أن الألم اجتاح جسده كمصيبة. "إذا واصلت مسعاك ستثبت للعالم أن أوفرواتش باتت حقًا الشيء الذي يخافون منه. أتمنى أن ترى ذلك."

منذ سنوات ماضية، عندما وطأت قدماي مكتب موريسون الواقع في الزاوية لأول مرة، كانت الأمور مختلفة تمامًا. كنتُ فتاة متحمسة ومفعمة بالطاقة، تركت لتوي وظيفة رئيسة قسم الجراحة في المستشفى الجامعي بزيورخ. لأول وهلة، ظننت أنني دخلت متحفًا. كانت صور موريسون مع رؤساء دول عدة منتشرة على الجدران، وكذلك صور لفريق الهجوم وتذكارات من مسيرته العسكرية. كان هناك رفّ للكتب، يضم مجموعات متعددة المجلدات للنصوص التاريخية، ومن بينها الطبعة المجلَّدة القديمة

لتاريخ الحرب البيلوبونيسية لثوسيديديس وسير ذاتية لجنرالات بارزين، وقد رُتبت جميعها بعناية على الجهة الأخرى من الجدار. وكانت هناك أيضًا لوحة شطرنج موضوعة على منضدة جانبية تكشف عن جولة لعب لم تكتمل بعد، وإلى جوارها وضعت نسخة مطوية صفحاتها من كتاب ألعابي الستين الخالدة للاعب الشطرنج الأمريكي بوبي فيشر. وكان ثمة شخص يجلس إلى مكتب كبير وهو جاك موريسون شخصيًا.

قال: "قرأت ورقتك البحثية. كانت رائعة. فقد أوحت لي بفكرة"، مشيرًا إلى ورقتي البحثية المنشورة حديثًا عن المعالجة بالنانو الحيوي. رأيت أنها فرصة قد تُساهم في إحداث ثورة في أساليب تقديم الرعاية الطبية، ليس داخل غرفة الفحص فقط، بل في بنية مهنة الطب بالكامل. كان يصعب علي أن أتحلى بالصبر، وقد اعتقدت أن أوفرواتش أتاحت لي فرصة لتنفيذ أفكاري سريعًا بطريقة لم تكن لتجاريها أي منظمة أخرى.

سألته بلهجة مرتابة من اطلاعه على ورقة بحثية عميقة التخصص يحتاج أغلب الطلاب الخرِّيجين وقتًا لهضم فحواها: "أقرأت ورقتي البحثية؟"

ردَّ جاك ضاحكًا: "أعتقد أنني فهمت جوهر موضوعها." عندها آثرت غضَّ الطرف عن إحراجه بسؤال آخر. فهو يُناولني مفاتيح الولوج إلى مملكة أوفرواتش على أي حال.

قلت بابتسامة: "أحاول جعل خلاصات الأبحاث سهلة القراءة."

ردَّ عليَّ قائلًا: "أرغب في انضمامك إلى أوفرواتش رئيسة لقسم الأبحاث الطبية يا أنجيلا. بفضل مصادرنا، يُمكننا أن نكون عونًا لكِ في تطوير تقنية النانو الحيوي التي توصلتِ إليها. تخيلي كيف ستتغير حياة الجميع. بوسعك تحسين متوسط عمر الإنسان حول العالم."

وقد خَال الأمر في بالي. فمع بعض الإنجازات في الذكاء الاصطناعي وقيامه على صناعة جادة، يمكن أن يُكتب للتقنية الحيوية الانتشار في سائر أنحاء العالم. وستتضاءل معوقات الرعاية الطبية، وربما يقل الوقت الذي يحتاجه الناس للرعاية، وستفتح هذه التقنية آفاقًا جديدة في ذلك الاتجاه. وكان موريسون واعدًا بإتمام الأمر لأجلي.

"سنوفر المال والمصادر والموظفين. لكني أعلم أنكِ ممن يفضلون فعل الأشياء على طريقتهم الخاصة، وأنتِ جديرة بذلك. أنتِ من سيتولى زمام الأمور وأنتِ من سيضع القواعد."

رددت: "سأحتاج إلى باحثٍ جديدٍ يا قائد، أيوجد أحد هنا؟"

قال موريسون وهو يشرد بنظره عبر النافذة المطلَّة على الفناء بالأسفل، وقد شقت شبكة

متناسقة من رجال حفظ السلام المدرَّعين بزيهم الأزرق طريقها نحو الأرض المكتسية بالعشب:

"ستُذهلين مما أعده. فأنا لديَّ ما يكفي من الجنود. لكنني في حاجة إلى المفكرين والحالمين. أحتاج إلى أشخاص يتوقون إلى جعل العالم مكانًا أفضل. ربما تكونين على أعتاب إنجاز كبير سيغير حياة كل إنسان على وجه الكوكب. أرغب في جعل هذا الأمر حقيقة على أرض الواقع، مذللًا جميع الصعاب ليتسنى لكِ التركيز على إحداث ثورة في مجال عملكِ."

كان عرضًا رائعًا، وبدا مثاليًا. لكني سمعت الصوت الذي يتردد في رأسي كلما بدا لي شيء أروع من أن يصدق. وكانت "ليس كل ما يلمع ذهبًا" إحدى عباراتي المفضلة لتوربيورن. انتابتني ريبة من كل شيء. فهي عادة لطالما لازمتني حتى في طفولتي، لكن ما أجَّجها هو تعليمي وربما اقترابي من توربيورن. وكانت دائمًا ما تصب في مصلحتي، فقد ساعدتني في المجال العلمي، لكنها تمنح الناس انطباعًا شائكًا عني. قلت لجاك: "إنه عرض سخي. لكن لديَّ بعض التحفظات."

"جربي التعامل معي."

قلت له: "أرغب في التركيز على استخدام أعمالي للأغراض السلمية والحضارية. لا أن أمهد طرقًا تسمح لقادة أوفرواتش بالزجِّ بالناس إلى التهلكة."

لامس موريسون أطراف أصابعه في شكلٍ هرمي قائلًا: "انتهت أزمة الأومنك منذ أكثر من عشر سنوات. فقد تأسست أوفرواتش ليُكتب لها الفوز بالحرب، لكنهم أسندوا إليَّ مهمة جديدة، وهي جعل العالم مكانًا أفضل. لقد استثمرنا في أبحاث علم الأحياء والكيمياء والبنية التحتية وعلم المناخ، وفي كل مسعى علمي من شأنه تحسين حياة الإنسان. أود أن تُشاركي في هذا الأمر. وقد تكونين مسؤولة عن إحدى الطفرات في تاريخ البشرية منذ ابتكار الأومنك."

عندما نَظرت إلى موريسون بقصة شعره العسكرية المعتادة وميدالياته ونياشينه، لم أرَ سوى رجل عسكري، حتى وضعية وقوفه تُشاركني الرأي. كان الأمر يُشبه رؤية حبل أفكاره المتسلسلة والتي أثارت حدسه، فهي أفكار نسجتها حياة كاملة من التكوين العسكري، إنه جندي يتمتع بموهبة الإيمان بأوامره. وإذا كانت أمامي فرصة لإحداث فارق حقيقي في هذا العالم، ألا يتحتم عليَّ فعل كل ما في وسعي لتحقيق هذه الفارق؟ لكني كنت أعرف موريسون منذ وقت طويل، وقد فعل الكثير من الأشياء الحسنة، وعيَّن للعمل معه أشخاصًا جيدين يقتدون به ويحترمونه. فلم يكن يراودني شك من أنه يُصدِّق ما يقول. والأكثر من ذلك أني أردت تصديق كلامه.

تابع موريسون: "أعرف القيم التي تؤمنين بها يا أنجيلا. فأنا أعرفك منذ سنوات. ستتشرفين بالعمل معنا في إنجاز مهمتنا. فلا مزيد من طلبات المنح أو مساومات اقتناء معدات جديدة، وكل ما ترغبين فيه سيكون تحت طوعك. وهذا وعد مني."

مبتسمة سألت: "ماذا عن الباحثين؟"

ردَّ قائلًا: "لكِ ما تحتاجين منهم."

كنتُ غارقة في النوم على مكتبي عندما استيقظت مصدومة من صوت انفجار. شعرت وكأن الأرض ذاتها تتنهد، بعدها حدثت عدة توابع أقل حدة تسببت في اهتزاز النوافذ من حلوقها. كانت الأنوار تومض. وكان بإمكاني الشعور بدقات طبول الرعد الغليظة من بعيد. لكن مَنْ عايش أهوال الحروب يعرف الفرق بين الطقس والحرب. ارتديت ملابسي سريعًا، فأنا أعرف، من خبرتي الكافية بحياة القاهرة ما يتمخض عن أصوات الرعد. حينها كان علينا الهرع إلى المخيَّم لتجهيزه لاستقبال الضحايا.

بعد فترة قصيرة، ظهر موريسون وآنا عند المدخل كشبحين في الظلام. وقد حلَّ القناعان اللذان يرتديانهما محل وجهيهما المألوفين، وكانت تعبيراتهما مجرد خط أحمر لامع وماسة زرقاء.

حينها سألت: "ما الذي يجري؟"

قال موريسون وقد شوَّه صوته آليات مثبتة في قناعهِ الساتر لفمه: "تعرضت منشأة أنوبيس لهجومٍ، علينا الذهاب الآن" وقد تلاعبت هذه الآليات بصوته، سالبة ما تبقى من إنسانية لديه.

"ستُسيطر شركة هيلكس على الأمر. أما أنت فسيُقبض عليك وسط تبادل إطلاق النيران."

ردَّ جاك بنبرة صوت أعرفها: "إنها تالون"، وما من سبيل لإقناعه بغير ذلك.

قاطعت آنا محاولات احتجاجي قائلةً: "ثمة أشخاص يا أنجيلا ألقي القبض عليهم وسط إطلاق النيران. إنهم في حاجة إلى عونٍ ستعجز هيلكس عن تقديمه، فهل ستأتين معنا؟"

كنت أفضل العارفين بحالة الرعاية الطبية الطارئة في القاهرة. فقد خلَّفت الهجمات الأخيرة رقعة كبيرة من الخراب، ولا تزال أجزاء كبيرة من المدينة تحاول تضميد الجراح. ما زلت أعرف أشخاصًا من المخيمات شُردوا أو أصيبوا في الفرار الأخير. كانت هيلكس قوات حافظة للسلام، لكنها في نظري لا تختلف كثيرًا عن المرتزقة. فكانت تتقاضى المال لحماية مصالح الحكومة لا مصلحة شعبها، في إحلال متوقع لأوفرواتش. كان عليَّ المكوث في المخيَّم وضبط كل شيء في مساره الصحيح، والتأهّب لفرز سيل الوافدين. كنت أعرف ما عليَّ فعله.

"ها أنا آتية."

احتفظت برداء فالكيري في أحد صناديق التعبئة الكبيرة. فُتحت الأقفال البيومترية مع طقطقة مُرضية. أفرغت محتويات الصندوق: درع الصدر وأجهزة الاتصال وواقي الماسح الضوئي والشحنات الحيوية ونظام الدفع والعصا، وقد وضع كل من هذه الأشياء في بطانة إسفنجية خاصة لأغراض التنقل، وكل منها لم يُستعمل لبعض الوقت. بينما أتحسس بيدي درع الصدر الأبيض منتزعة إياه من البطانة الإسفنجية، كنت لا أزال أشعر بعلامات التلف منذ أن كنت في ميدان القتال: خدوش وانبعاجات وآثار تشير إلى حجم الخطر الذي قد كان. أحكمت تثبيته، وفور تشغيله تلبسني وصار جزءًا مني. أما انبعاجات مقابض العصا فكانت قد ارتسمت على شكل راحة يدي كما أمسكت بها في المواقف البائسة. وكانت سماعة الرأس ووحدة المعالجة هي شريان الحياة لكل هذا والجهاز العصبي الذي يزودني بما أحتاجه من معلومات.

ما زال الرداء يناسب مقاسي، لكني كنت قد نسيت مدى ثقله.

ثمة أشياء تبقى عصية على فهمك إلى أن تُحلِّق في الجو. كانت الرحلات الجوية فاتحة لآفاقٍ جديدة لجميع أفراد فريق الهجوم. لينا كانت تعمل طيارًا، حتى وينستون سافر من القمر عبر سفينته الفضائية. تذكرت كيف يصف رواد الفضاء تغيّر حياتهم كليًا عندما شاهدوا كوكب الأرض من الفضاء. لكن أحدهم لم يعرف التحليق مثلما عرفت.

أسفل مني تقع القاهرة وهي تملأ الآفاق، وقد بدت مدينة تلاشى اخضرارها إلى البني بعد عقد من الإهمال. كانت منشآت التقنيات الزراعية الجديدة على طول نهر النيل بدأت تعيد بث الحياة فيه. وعلى ضفتيه وضعت ألواح شمسية ومحطات بطاريات عملاقة تُخزِّن قدرًا من الطاقة يفوق ما تعرف البلد كيف تستخدمه. لقد ازدهرت الحضارة بفضل مياه النهر، ولم أصدق أن وضعها الحالي سوف يدوم. كانت الأهرامات حارسًا منتصب القامة على بقية أجزاء المدينة، باقيًا إلى أبد الآبدين.

وفي ظلال هذه الأهرامات، تقع ساحة قتال.

شقَّ ثلاثتنا الطريق إلى موقع الهجوم. كانت وحدات هيلكس سيكيورتي في خِضم معركة ضارية مع قواتِ التالون. فسفن الإنزال هذه ذات اللون الأسود والأحمر كانت تحوم مثل الطيور الجارحة. ورأيت من فوقي انبعاثات وحدات الرابتور المدرَّع وهي تنتشر. لم ينتابني القلق عليهم، فالمسعفين سيتكفلون بالأمر. لكن الفزع تملكني من هول الدمار الذي ألحقته الصواريخ الملقاة على الحشود المتعاركة. في الأسفل، امتدَّ ظل الجنديين القديمين على طريق مسيرهما عبر الشوارع المعتمة. وبالرغم من ارتداء موريسون سترته ذات اللونين الأحمر والأزرق، كان من الصعب تعقبه وهو ما أذهلني. كان من الغريب رؤيته في وضعٍ كهذا، فهو لم يتَّكل على حِيَل للتخفي قَط. ولولا معدات المسح الضوئي في رداء فالكيري لكان مختفيًا عني.

لطالما كانت المعارك ضبابية في نظري، بهجماتها العدوانية وتمركزاتها وتكتيكاتها. كنت أحول هذه الأشياء إلى طنين خافت في رأسي، وأترك شأنها للآخرين. عليَّ التركيز إذن على المهمة الملقاة على عاتقي، وهي إنقاذ الأرواح. كان المدنيون يحاولون إخلاء المنطقة، وقد امتلأت شاشة التتبع بنقاط تُعبِّر عن إشارات الحياة للأشخاص الموجودين في المنطقة؛ فوضى مُلحة وصارخة وجب عليَّ استيعابها. أبعدت جاك وآنا وهما يتبادلان إطلاق النيران مع جنود تالون العمالقة.

لم أودّ يومًا أن أكون ميرسي. إنه قدر فُرض عليَّ. كان الغرض من رداء فالكيري هو إثبات صلاحية تقنيتي. لكني كنت أعلم كيف يراني الآخرون. وكيف يحتاجني أعضاء الفريق بجانبهم كتفًا بكتف. وهكذا تلاشت شخصية الدكتورة أنجيلا زيجلر رويدًا تاركة الساحة إلى شخصية ميرسي.

انغمس موريسون في الأجواء دون قيود بينما راقبتْ آنا الأحداث من أعلى. كان جنود تالون بأقنعتهم الحمراء والبيضاء منتشرين في كل مكان، ومعيقين حركة جنود هيلكس الزرقاء. وفجأة مزقت سلسلة من الانفجارات سكون الليل، حينها حدَّقت في كتلة مظلمة أشد سوادًا من ظلمة الليل. بعدها ظهرت هيئة سوداء من رحم الظلام، يتدفق من وسطها وابل من النيران، هرع الجنديان القديمان بعيدًا عن مرمى رؤيتي ناشدين أي ساترٍ.

قلت بصوت يُقاطعه التنفس: "ما هذا؟"

"جابرييل."

اِستبدَّ بي الفزع من حدة صوت جاك التي ملأت أذني. تزاحمت عشرات الأسئلة محاولة اختراق حجاب انتباهي، لكن كان عليَّ دفعها بعيدًا، قائلة: "هذا لا يعنينا يا موريسون. أمامنا أرواح لإنقاذها."

"تلك مهمتك يا دكتور، أما هذه فمهمتنا نحن." بعدها خيم الصمت علينا.

رأيتهما الاثنين وقد ابتلعتهما سحابة خانقة، حيث كان موريسون يندفع في المقدمة وآنا تحمي ظهره بحذر.

كان محقًا على أي حال. لم تكن لدي رفاهية القلق عليهما فقد كانت أمامي مهمة علي إنجازها.

لم تكن التالون مكترثة بأرواح الأبرياء ولا المدنيين أو بالإضرار بالممتلكات، أما قوات هيلكس سيكيورتي – التي كانت أقل وطأة فحسب من المرتزقة – فلم تكن أفضل حالًا منها. كانت الصواريخ تسبح في الهواء، والمباني مدمَّرة. وقد فرَّ الناس من المنطقة في ذعر.

كانت شاشة التتبع تُبيِّن بإلحاح علامات لحياة أشخاص في مكان ما أسفل مني، لكن كان من المحال تقريبًا رؤيتهم. وبثقةٍ تامة هبطت مخترقة أعمدة الدخان المتصاعدة التي هاجمت عينيَّ، لكن تخلصت منها العدستان اللاصقتان تدريجيًا. وثمة وميض من لونٍ شاحب جعلني أحدِّق في طبقات الضباب والغبار. حلَّقت نحوه مباشرة مستعينة بنظام فالكيري للمناورة، محاولة الحفاظ على ثبات النقطة في مخيلتي وأنا أنغمس في الضباب العفن. وعندما هبطت إلى الأسفل وقد تلاشت أعمدة الدخان ببطء، تلقيَّت الإشارة مجددًا، كانت هيئة لفتاة صغيرة بقميص أبيض وشعر بني داكن. ذكرتني هذه الفتاة بالعديد من أطفال الماضي. فالمعارك تشابهت في كل مكان، كاشفة عن جنودٍ يقاتلون من أجل البقاء والنصر والمجد، وأبرياء يُسحقون أسفل بيادات هؤلاء الجنود.

لوَّحت الفتاة بذراعيها عندما رأتني، وهي تحاول بائسة جذب انتباهي. انطلقت سريعًا مخترقة الدخان لأهبط وسط حطام الطوابق العلوية للمبنى.

قلت لها: "لا تتحركي، هل علقت ساقكِ؟"

أومأت برأسها. وبدت مستسلمة ومنهكة، ونظرت إليَّ بائسة ناشدة النجدة.

مثل هذه المشاهد خلفت الندوب في طفولتي. عائلات مزَّق أوصالها الفرار من أهوال الدمار. تذكرت الأحياء السكنية التي انهارت في غارات ليلية مفاجئة. لم نستطع رؤية القمر ولا النجوم في السماء،

بل أضواء حمراء وامضة كئيبة وأشكال معتمة تبدو أشد سوادًا من سماء الليل، وسرعان ما أبادتنا الانفجارات البيضاء الساطعة. لم يكن هناك وقت للفرار إلى الملاجئ، كان عليك حينها التحري عن ساترٍ أينما كنت إذا حالفك الحظ. كان الصوت مدويًا والدخان خانقًا والخوف سيدًا.

بذلت قصارى جهدي لطمأنتها: "سأحاول إخلاء الطريق، أتسمعينني؟ سأعود لكِ بعد لحظة."

أومأت برأسها ثانية وقد اتسعت حدقتا عينيها وكأنهما صحنين.

بدأت انتشال القوالب الخرسانية الكبيرة التي دفنت نصف جسد الفتاة. كم كنت أود الحصول على مساعدة. وينستون أو راينهارت أو سوجورن أو قينجي، أي منهم كان مناسبًا للمهمة. تذكرت فنزويلا، حيث كان يتعيَّن علينا انتشال الضحايا من دمار عاصفة هائلة. لم أكن لأتمكن حينها من التعامل مع الصخور لولا قوة رداء فالكيري.

بدأتْ قائلة: "أنتِ؟"، وكانت نظرات التعرُّف علي تملأ عينيها. عدَّلت وقفتها، فمددت يدي على كتفها مانعة إياها من الحركة السريعة. لم أكن أرغب في أن يسوء الموقف نتيجة لشعورها بالإثارة أو ارتفاع في الأدرينالين.

أنهيت المهمة قائلة: "سوف أساعدك." وأصدرت صيحة مجلجلة وأنا أرفع كتلة أخرى من الجدار وأطرحها جانبًا. "كم أرغب في وجود راينهارت هنا."

"راينهارت؟"

قلت: "إنه صديقي العزيز، قوي الجسد، ضخم البنية، الثرثار." انفرج جناحيَّ وأنا أنتشل بقوة آخر كتلة خرسانية ضخمة. ساعدت الفتاة حتى تقف على قدميها. كان وجهها مغطى بالغبار الأسود وخيوطٍ دقيقةٍ من الدموع المنهمرة كالنهر.

سألتها: "ما اسمكِ؟"

ردَّت باستحياء: "حنان."

قلت لها: "دعيني أجري مسحًا ضوئيًا عليكِ." رمقتني بنظرة ساهمة لكنها ظلت منتصبة كتمثال وقد غمرتها الموجة الزرقاء المنبعثة من أداة المسح اليدوية في رداء فالكيري. لم تكن هناك عظام مكسورة، وبدا أنها ستكون على ما يُرام. كانت تعاني من بعض الجروح والسحجات التي ينزف القليل منها، لكنها كانت جراحًا يسهل تضميدها.

التقطتُ العصا وانحنيتُ إلى جوارها. وبعد أن نشطتُ الدفق الحيوي، انبعث بريق ذهبي خافت من

العصا قبل أن يُحيط بحنان، وقد بدأ يتوهَّج ببطءٍ كضوء شمس ساطع. وقد تركت ذرات ضوء صغيرة كغبار لامع في الهواء بقعًا على جلد حنان فور سقوطها عليه. لمعت عيناها ثم ندت منها قشعريرة وكأنها يبَّست ذراعها قرب جَذْوة من النار. قلت: "يبدو أنها ساخنة قليلًا، دعيني أتحقق من ذلك."

أومأت برأسها وشاهدت جراحها تلتئم في ذهول، قائلة: "هذا يُشبه السحر."

قلت مبتسمة: "إنه العلم، أفضل بكثير من السحر، هل سمعتِ من قبل عن النانو حيوي؟"

قامت بحركة بسيطة وكأن سحابة من الذباب قد هاجمتها، قائلة: "هل يُشبه ذلك... آلات صغيرة؟"

قلت لها: "ليس بالضبط"، شاعرة. بغصة لحظية من خيبة الأمل، فالتقنية التي قد تُحدث ثورة في طريقة العلاج حول العالم ما زالت مجهولة لمعظم الناس. لكن كانت هناك أمور أكثر أهمية. "سأشرح لك، لكن الآن علينا الذهاب إلى مكانٍ آمن."

ردت حنان قائلة: "لا يُمكننا المغادرة بعد! فأخي عالق بالداخل. علينا مساعدته إذن! رحل الجميع ولم يرغب أحد في الانتظار." كان دوي طلقات النيران في الشوارع لا يزال مسموعًا. وكانت أصوات قذائف الهاون الثقيلة تدوي وقد تخللها الصوت الحاد للأسلحة الآلية. كان الموقف ما يزال بالغ الخطورة، ولم أرِد أن تتعرض حنان لأكثر مما شهدته. "أرجوكِ."

لم أكن عازمة على تركه خلفنا. حاولت اقتفاء أثره باستخدام ماسح فالكيري الضوئي، لكن التشويش الكهربائي صعَّب اكتشافه على الرادار أو التعرّف عليه بصريًا. قلت لها: "لا يمكنني تركِكِ هنا، سيتعين عليكِ القدوم معي."

أومأت حنان موافقة. كان المبنى الذي دخلناه قد تعرض لعدد من الهجمات. شققت طريقي عبر المدخل، ودلفنا عبر السلالم. وفور نزولنا في المبنى غمرتنا سحب من الدخان. حينها انتزعت قطعة قماش من حاشية ثوبي وصنعت لحنان قناعًا مؤقتًا. كانت أجهزة الإنذار تصدح بأصواتها وترن، والأضواء الوامضة تكسو المكان. وفور خروجنا من السُلم إلى الردهة، شعرنا بوقع خطواتنا على الأرضية. شققنا بعدها الطريق عبر الردهات، وكنت كلما أقترب أكثر أتمكن من تعقب إشارة حياة أخرى. كان ثمة باب عملاق يحول بيننا وبين هذه الإشارة. استندت بكتفي على الباب ثم فتحته بطريقة ما.

كان في الحجرة صبي كبير مرتديًا قميصًا أحمر ووشاحًا أصفر، ومنبطحًا على الأرض. كانت ذراعه ملتوية بطريقة غير طبيعية، وتوقعت أنها مصابة بكسر. بدت عليه علامات غياب الوعي.

سأل: "أهذه أنتِ يا حنان؟" لكنه كان ساهمًا في شيء ما على السقف عندما سمع وقع خطواتنا تقترب نحوه.

اندفعت حنان مهرولة نحو الصبي وهي تُغالب تنهدات البكاء، خائفة من وقوع الأسوأ. "نعم هذه أنا. جئت لك بالمساعدة."

قلت وأنا أنحني نحوه: "هذا صحيح. سنُخرجك من هذا المكان." تملكني القلق من ظهور بوادر الاختناق عليه. فلم يكن بمقدوري نقله قبل تخفيف معاناته. كان القليل من دفق المعالجة الحيوية سيساعده في الصمود بعض الشيء مثلما حدث مع حنان. أحاط بريق الدفق الذهبي به سريعًا، لكن صدره بالكامل بدا وكأنه يتوهج من الإشعاع ببطءٍ. ورويدًا رويدًا انتظم تنفسه. حينها التفتُّ إلى حنان.

قلت: "حسنًا، سنخرج أخاكِ من هذا المكان."

أومأت حنان موافقة بينما ينظر إليَّ أخوها بنظرات شاردة يكتنفها الخوف.

سألته وأنا أجري عليه مسحًا بتقنية السونار التصويرية في رداء فالكيري "كيف حالك؟" لم يكن هذا السؤال سوى حيلة تشغله عن إصابته بالحديث والتركيز في أي شيء آخر.

قال بصوت يقاطعه السعال: "هذا مؤلم." وعندما تلاقت عيوننا، اتسعت حدقتاه من الدهشة، قائلًا: "أنتِ ميرسي. رأيتكِ في الصور."

قلت: "هذا صحيح"، لم يضايقني ذلك. فكنت أعرف أن ميرسي في مثل هذه الأوقات شخصية نافعة، وهي الآن ستمنح شقيق حنان ما يجعل قواه تتماسك.

قال بنبرة مرتبكة: "أبواي لا يحبانكِ كثيرًا."

قلت بابتسامة: "ربما تقول كلامًا ينصفني عندما تلتقيهما لاحقًا، أليس كذلك؟"

تغيَّرت تعبيرات وجهه كأنه يخشى قول شيء يُغضبني: "بالطبع!" قالها بجدية مع إيماءة برأسه، لكن حتى هذا الجهد البسيط بدا مؤلمًا جدًا له.

"حسنًا، علينا الآن الخروج بك من هذا المبنى. أتستطيع السير؟"

"ربما أستطيع ذلك."

قلت: "حسنًا، لا بأس. سنتحرك برفق وروية. وأنا وحنان سنظل إلى جوارك."

سمعتُ صوتًا يدل على اقتراب قذيفة هاونٍ، فصِحت فيهما قائلة: "انبطحا على الأرض!" وأمسكت بحنان ثم هوينا إلى شقيقها، مغطية إياهما قدر المستطاع بجسدي وبجناحي رداء فالكيري الممتدين. انفجر الجدار نحو الخارج لتتطاير الكتل الخرسانية والزجاج في أنحاء الغرفة وترتطم بالدرعِ الذي أرتديه.

أمطرني السقف بالحطام وانهال عليَّ كالمطارق. تملكني الذهول، فجميع البطانات الواقية ودروع الرداء تحملت وطأة الهجوم. وعندما توقفت الكارثة، انتصبت واقفة، وشكرت في خُلدي توربيورن عن الجهد الذي بذله في صناعة درع هذا الرداء. في هذه الأثناء، سألتهما: "هل أنتما بخير؟"

لم يكن هناك أي رد، فكان عليَّ البحث بنفسي. تعطلت شاشة الرداء. وعندما انتصبت واقفة سمعت صوت طقطقة وصدر عن أحد جناحيَّ صرير. كُسر جناحي. شعرت بأني محطمة، وبدأ الإرهاق البدني في التأثير علي. نظرت حنان إليَّ مقرفصة في وضعية دفاعية، وقد اتسعت حدقتا عينيها مرتعدة. لم يكن أخوها يتحرك، كانت صدمة الانفجار قوية جدًا عليه، وكان على شفا الإغماء. وجدت صعوبة في رؤية الأشياء في الخارج، وكأنما قُبرنا في أعماق الأرض. تعطَّلت أنظمة عمل فالكيري، وبدا للعيان أننا كنا عالقين.

كنت أسيرة للرعب. كانت الجدران وكأنها تضيق الخناق علينا. أهذا ما شعر به والداي قبل أن يحين الأجل عندما قُصِف المستشفى؟ أكانا معًا؟ أكانا يعرفان ما الذي يحدث لهما؟ تمنيت من عميق قلبي لو أنهما لم يكونا يعرفان. لا يُمكننا انتظار هذا المصير، كان المبنى يئن كما لو كان في سكرات الموت. وكاد الحريق أن يندلع فيه. كنا بصدد اختناق وخراب وانفجار آخر.

لم تكن أمامنا سوى طريقة واحدة للخروج.

ربطت العصا في ظهري وحملت الفتى على ذراعي، متحركة ببطء تجاه المخرج. قلت لحنان: "اتبعيني وكوني حذرة." اجتزت ردهة فأخرى متخطية فجوات الأرض. وما إن اقتربنا أخيرًا من المدخل

الرئيسي، حتى عصفت بالمبنى سلسلة أخرى من الانفجارات، وكنت أستطيع سماع صوت ارتجاج الجدران. ناديت على حنان قائلة: "اهربي! اهربي نحو الباب!"

كان المبنى على شفا الانهيار.

بينما أحمل شقيق حنان على ذراعي، شعرت بذنبٍ من عدم معرفة اسمه. ركضت على أرضٍ وعرة، أثب لأتجاوز الحُفر، لكني لم أكن لأتجاوز الكارثة. كان الجدار ينهار والمبنى يتهاوى والعالم من حولي يتهاوى. تزاحمت الأفكار في عقلي باحثة عن محاولات فرار ممكنة، لكني فشلت. أحيانًا عدم إيجاد حلول معقدة يمكن الاختيار من بينها يجعل الأمور أبسط. فكان كل ما عليَّ فعله هو محاولة إنقاذ حياة مَنْ في رعايتي.

ألقيت بنفسي على شقيق حنان وكان المبنى لا يزال يتهاوى من حولي مرتطمًا بظهري ودافعًا إياي نحو الأرض.

دخل العالم في غِمار الظلام.

عندما أشرقت الأجواء مجددًا، سمعت صوتًا يناديني. ثقل كبير بدا ينقشع. كان شقيق حنان أسفل مني، تساءلت ثانية... ماذا كان اسمه؟ وأصرَّ رداء فالكيري أن صحته على ما يُرام. كانت جيدة قدر المستطاع.

ناديتُ مذهولة: "حنان"، ولم أسمع ردًا.

انتصبت ببطء واقفة وكنت أسعل، بينما يتساقط من فوق ظهري أثر الحطام. حينها ذراع قوية أمسكت بذراعي. كان موريسون وقد أطلَّ دون قناع، وبدت عليه علامات الحياة. كان وجه جاك مغطى بالغبار الأسود، عدا موضع رقعة حيث كان القناع، أما سترته فقد برز منها مزيد من الثقوب.

بادرني قائلًا: "علينا الخروج من هنا يا أنجيلا."

قلت بينما أسعل: "الفتاة."

"إنها معي، حان وقت المغادرة"، كان هذا صوت آنا قادمًا من الضباب، وقد بدأت في مسح المنطقة، متسللة كقطة تتفقد المكان.

مرَّ ما تبقى من اليوم في أنشطة ضبابية، كاستقبال سيل من الضحايا الذين وقعوا في تبادل إطلاق النيران، من بينهم رجال شرطة وعملاء هيلكس وأوائل المتدخِّلين. كان هناك عجز في عدد الأطباء والأسِرَّة والوقت الكافي لهم جميعًا. وعندما حلَّت نهاية اليوم، كنت مرهقة وخاملة، أعيش على رشفات من القهوة.

بحلول الوقت الذي حظيت فيه أخيرًا براحة، كانت الشمس قد غرقت متجاوزة الأفق، وقد هبطت نسمات الليل الباردة على المخيَّم. حينها جاء جاك وآنا لزيارتي. كان قناعاهما مرفوعين لكن ذكراهما لا تزال محفورة في أعماقي.

بادرت بالسؤال : "أين ستكون وجهتكما التالية؟" وقد لمحت مع كل منهما حقيبة كبيرة.

قال جاك: "جابرييل كان هنا. علينا تعقبه إذن."

لم يكن الوقت كافيًا لاستيعاب ما رأيته في ميدان القتال أو تأمل مغزاه. سألت: "أهو على قيد الحياة؟" ذهلت على الفور من عبثية المشهد، لكن اِستبدَّ بي الفزع بعدها. كان اليوم مكتظًا بكثير من لحظات الموت.

تنهد جاك قائلًا: "المحاربون القدامى يصعب قتلهم. جابرييل قاد الهجوم، وعلينا اقتفاء الأثر قبل أن يحلّ البرد. يبدو أننا سنتجه إلى مكانٍ ما في أوروبا، إنه المكان الذي كنا سنقصده قبل أن ننعطف بالرحلة إلى هنا. وربما نقابل أصدقاء قدامى."

قلت: "حسنًا، أتمنى لكما حظًا موفقًا في العثور على... ما تودون العثور عليه."

ردَّ موريسون: "يُمكنكِ القدوم معنا، ما زلنا بحاجة إليك"، قالها بنبرة من يعرف أن احتمال موافقتي ضعيف.

هززت رأسي قائلة: "لا يُمكنني البقاء هنا ولا القدوم معكما. إننا نسير إلى وجهتين مختلفتين."

أومأ موريسون قائلًا: "الوقت كفيل بإثبات الحقيقة. أتمنى لك حظًا سعيدًا يا أنجيلا. وشكرًا على الإسعافات الأولية." ارتسمت على وجه موريسون ابتسامة عريضة وحيَّاني بتحية عسكرية ساخرة قبيل رحيله وارتداء حقيبته على كتفيه. أما آنا فقد تباطأت للحظات قليلة، وشاهدنا موريسون وهو يُغادر.

قالت واضعة يدها على كتفي: "كلنا نقاتل في المعارك نفسها."

قلت لها: "إننا لم نقاتل في المعارك نفسها قط يا آنا. إنني أكره المعارك."

تنهدت آنا قائلة: "ربما تكونين على حق، لكننا جميعًا ما زلنا نقاتل. قد لا يكون جاك مثاليًا كما كان في سابق عهده، لكنه أصبح عنيدًا أكثر مما كان. فكلما مررنا بخبرات أكثر، زادت رغبتنا في التشبث بها."

"لا يُمكنه قتال الماضي. عليه إدراك ذلك."

ردت آنا وقد ضاقت حدقتا عينيها: "أعتقد أن جاك سيجد دائمًا شيئًا يقاتل لأجله، هو في حاجة إلى ذلك. إن حرب جيلنا قد انتهت، وكل جيل له حرب. لماذا نقاتل إذن؟ نقاتل لسفك الدماء، وكسب المال، ولأجل الملك والبلد، لأجل العدالة، لأجل ما نؤمن به. المعركة ليست دائمًا في ميدان القتال. تدوم بعض الحروب لعقود، لكن حربنا وضعت أوزارها في طرفة عين. شكَّل جابرييل فريقنا لإنقاذ البشرية، لكنه لم يستطع إعادة البناء لاحقًا. ظنَّ أداو وظن الآخرون أن موريسون جدير بالأمر. كان الرجل المناسب في المكان المناسب بعد كل ما مضى. كان بطل الحرب ومرهف الحس والشجاع والواثق والسياسي. لكن في نهاية المطاف هو جندي، والجنود لا يعرفون سوى طريقة واحدة للحياة. دورنا ليس تغيير العالم، بل إنقاذه فحسب."

قلت: "كان البقية منا هناك لهذا السبب."

أومأت آنا رأسها في حزنٍ قائلة: "لم نعرف طريقًا قطَ يجعل أتباعنا يواجهون الصراع. إننا لم نُخلق للسلام بعد كل هذا." تابعت آنا حديثها مشيرة إلى رقعة عينيها: "ظننت أنني سأنعم بتقاعدٍ هانئ، ولكن ها أنا ذا. أنتِ ولينا وسوجورن والآخرون ترون الأمور من منظورٍ مختلف. أعتقد أنني فهمت القليل أخيرًا. فكل ما رغبت فيه هو ترك سيرة قد تُلهم الآخرين."

"لِمَ لا تعودين إلى وينستون؟ ثأر جاك ليس مسؤوليتكِ."

ردَّت على سؤالي قائلة: "يؤمن الشباب بالمثالية يا أنجيلا." ثم تابعت حديثها وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة حزينة: "حاولي ألا تصدري أحكامًا قاسية علينا. إذا أطلق عليك لقب البطلة، يصعب عليكِ خلع ثياب الحرب." لم يكن هناك ما نقوله بعد ذلك. ربتت على كتفي بلطفٍ في نهاية لقائنا ومضت في طريقها هي الأخرى حتى ابتلعها الظلام.

لم أكن أهلًا قَط للحظات الوداع رغم اكتظاظ حياتي بها، الصامت منها وغير الصامت. كانت لحظات الوداع الصامتة هي الأكثر شيوعًا، وهي ما تطاردني أشباحها في أغلب الأوقات. حينها كانت أمامي فرصة ثانية لقول كلمات الوداع، لكن جفت في أعماقي الكلمات. سأقول كلمات الوداع عند القبور إذن،

وهذا سيُشعرني بالفراق الأخير أكثر من رؤيتهما وهما يغادران الآن. لا أظن أني سألتقيهما مجددًا.

"عمل رائع يا ميرسي"، قالها محمود بينما كنت أدفع باب الخيمة الكبيرة التي اتخذناها مكانًا مؤقتًا للاستقبال ومكتبًا لوصف حالة المرضى. وهو نادرًا ما يشيح بنظره بعيدًا عن شاشته لإلقاء التحية، بل كان يكتب على جهازه بسرعة وقد انهمك في العمل.

قلت له: "لا تبدأ بهذا."

"آسف"، قالها محمود وبدا وكأني قد عاقبته بالرغم من تمتعه بابتسامة عريضة بلهاء. وتابع: "تعلمين أني انتظرت شهورًا لقول هذا لكِ."

تنهدت قائلة: "أتمنى أن تكون قد استمتعت. ما حالة الطفلين اللذين أحضرتهما معي؟"

ضغط محمود على بعض الأزرار أمامه، قائلًا: "لا يزالان في انتظار مَنْ يرافقهما."

ذهلت قائلة: "أيعرف أبواهما بالأمر؟" حينها نظرت في الساعة وأدركت مضي وقت أكثر مما ظننت. "لقد مرت ساعات."

نظر محمود إليَّ وكأنه لا يود الردَّ على سؤالي.

يا ويلاه

قالها محمود أخيرًا: "قُتل أبواهما. إننا نحاول تحديد أقرب المقربين لهما."

شعرت ذات مرة بشعور هذه الفتاة التي انتظرت أبويها للعودة. ما زلت أتذكر صوت الشرطي الذي أخبرني بالأمر، لكني لا أتذكر شكل وجهه.

سألني محمود: "دكتور زيجلر، هل أنتِ بخير؟"

أدركت أن أصابعي كانت قد اتخذت طريقها لتمسح دمعة من طرف عيني أسفل نظارتي، قائلة له: "أنا متعبة قليلًا."

"قمتِ بعمل رائع، لولا عثوركِ على هذين الطفلين وإخراجهما من المبنى، لما كانا على قيد الحياة."

تمتمت قائلة: "أحدهم كان سيفعلها"، استأذنت بالمغادرة، وشعرت فجأة بأطراف الخيمة سيئة التهوية.

قبيل حلول الغسق على هضبة الجيزة، كانت صفوف خيام العلاج متراصة في شبكة بطريقة عسكرية دقيقة، بقماشها الأبيض الذي يعكس آخر بقايا الضوء المغبّر، وبدت مثل جناح جديد من المَصاطبُ المدرجة والتي ظلَّت صامدة لآلاف السنين من هبوب الرياح وسطوع الشمس ومرور الزمن دون أن تتأثر. تأمل قدماء المصريين الذين سكنوا المقابر المجاورة كثيرًا في الحياة وأكثر في الممات سعيًا وراء الحياة الأبدية، لكن دون جدوى. من فراغ بين خيمتين رأيت حنان وشقيقها، كان مستلقيًا على معطف، وقد جلست حنان إلى جواره محاولة رفع روحه المعنوية.

راودتني كلمات آنا من جديد. كانت تنتابني أفكار على مدى السنوات الماضية بأن قتالي قد باء بالفشل. عندما تذكرت زيارتي الأولى لمكتب موريسون وأنا اتخذ قراري بالانضمام إلى أوفرواتش، لم أتيقن يومًا من أنني سأتحلى بمثل هذا التفاؤل ثانية. لكنني عرفت أن النار التي اشتعلت آنذاك ما زالت تتقد في أعماقي إلى الآن. كانت المعاناة والشك والجدال قد بددت ذخيرة البطولة الكبيرة التي ملكتها ذات يوم. ربما تخيلت أن شيئًا فُقد ولا يُمكن أن يُسترد. لكن علينا جميعًا مواجهة تحدياتنا وأزماتنا اليومية. ومن حين لآخر ستتلاشى رغبتنا في القتال، لكن شبحها سيعود دائمًا. وما إن رأيت حنان تفرد ذراعيها كجناحين، تيقنت بأن معركتي لم يسدل الستار عليها بعد.

الفناء ليس للأبطال.

فالكيري

DOCTOR

BLIZZARD®
ENTERTAINMENT

٢٠١٩ © شركة بليزارد إنترتينمنت
تُعد جميع العلامات التجارية الوارد ذكرها هنا ملكيةً خاصة لأصحابها المعنيين.